

دور الصورة التلفزيونية في تنمية الأداء اللغوي لدى الطفل

د. طانية حطاب،

جامعة مستغانم

لقد كان إنسان القرن الماضي شاهداً على التحولات الكبرى التي ألمت بالعالم، وكان من بينها وأهمها على الإطلاق الثورة العلمية والتكنولوجية التي حدثت، وانتشرت انتشاراً واسعاً في جميع دول العالم دون استثناء. ولعل أبرز ملمح من ملامح هذه الثورة، ما حدث في وسائل الإعلام والاتصال التي قفزت قفزة نوعية نحو التقدم والتطور المذهلين.

وتبقى الوسائل السمعية البصرية، وفي طليعتها التلفزيون، من أكثر الوسائل شيوعاً وتأثيراً في الجماهير المختلفة اجتماعياً، ثقافياً ودينياً.. بما يتيح من إمكانات الترفيه والتثقيف وإيصال المعلومة في وقتها. وهو وإن كانت في المقام الأول أداة من أدوات الاتصال، يتمثل دورها الأساس في إرسال المعلومات إلى المتلقين عبر الصوت والصورة والحركة، إلا أنها ارتبطت ومنذ زمن غير بعيد بالعملية التعليمية، وأضحى خير وسيلة يُعتمد عليها في التلقين والتعليم والتعلم.

وإذا كنّا في الماضي نُؤلي المعلم الدور الرئيس في عملية التعليم، ونعتبره حجر الأساس فيها، ونعوّل عليه التعويل الأكبر، ونبجّله من أجل دوره التربوي ذلك، فإننا اليوم أصبحنا نوجّه اهتمامنا نحو الوسائط التعليمية التي أثبتت فاعليتها في العملية التربوية كالتلفزيون والحاسوب وغيرهما.

وتبقى التلفزة أحسن وسيلة يُعتمد عليها في التعليم لما تمتاز به من خصائص نجعلها فيما يلي:

- " - تقدم خبرات حسية قوية التأثير، وتعين الطالب على تكوين معارف ومدركات صحيحة، وذلك حين يُعمل المتعلم عقله ونظره معا.
- تساعد على سرعة التعلم والفهم والاستيعاب، وتسهم في حل المبهم والغامض، وبذلك تقلل الجهد وتوفر الوقت.
- تثبت المعلومات وتساعد على تذكرها واستحضارها، لأنها تحولت من حقائق ذهنية مجردة إلى صور حية مجسّدة.
- تساعد على اختراق الزمن والمكان، إذ تُدخل العالم الخارجي إلى الفصل الدراسي.
- تعزز عملية الإدراك لدى الطالب من خلال التكبير والتصغير والتحكم بالسرعة.
- تدرب الطالب على اتباع الأسلوب العلمي في التفكير، وتساعد على تنمية الملاحظة لديه، وتنسيق الأفكار وترابطها.
- تنمي الثروة اللغوية (...)
- تحدّ من النسيان الذي هو آفة العلم، وتقضي على الملل والشرود.⁽¹⁾
- وغير خاف أنّ أهم ما يميز التلفزيون عن غيره من وسائل الإعلام والاتّصال هو توفره على الصورة والصوت واللون والحركة، أي الصورة المسموعة المقتربة باللون والمجسّدة بالحركة. ولعل هذه الميزة بالذات هي ما جعلته أكثر الوسائل تأثيرا وجاذبية لجمهور المتلقين على اختلاف انتماءاتهم وأعمارهم وتوجهاتهم.
- فالصورة التلفزيونية لا تقدم إلينا صامتا، "بل هي معجونة بالأصوات اللغوية والموسيقية وتتداخل معها، وتكيّف معناها وتصنع رؤيتنا لها وإدراكنا لدلالاتها، بما يجعل عملية التراكم أكثر تعقيدا من تحريك استجاباتنا الجمالية، وخلق أفق توقعاتنا المعرفية."⁽²⁾
- ومع اقترحام الوسائل السمعية البصرية كل مجالات الحياة، سيطرت الصورة وأصبحت هي المهيمنة على حياتنا المعاصرة، وأضحى من يملك القدرة

على المناورة بالصورة والتحكم في إنتاجها، هو الموجه للرأي العام، فتحوّلت الثقافة من ثقافة السماع إلى ثقافة الرؤية أي ثقافة العين، وتحولت اللغة من لغة الكلمة إلى لغة الصورة. "فالصورة وليست الكلمة هي التي تصنع أسطورة العصر الحديث".⁽³⁾

ولمّا كان الأمر كذلك، فقد غزا التلفزيون جميع بيوت البشر، وأصبح فرداً أساسياً من أفراد الأسرة لا يُستغنى عنه، وباتت فترة مشاهدته من قبل الصغار والكبار تمتد لساعات طويلة ما بين الليل والنهار. ويشكّل غيابها فراغاً كبيراً، ويعطي شعوراً بالملل والسأم، لا لكونه وسيلة ترفيهية وحسب، بل باعتباره أداة تثقيفية وتعليمية كذلك.

والواقع أن شريحة الأطفال هي أكبر شريحة تشاهد التلفزيون وتعشقه فيمكن للكبار الانشغال عنه لارتباطات تتعلق بالعمل أو السفر أو غيرهما لكن لا يمكن للطفل أن ينشغل عنه لأنه ملاذ له وتسلية، يجد فيه ما لا يجده عند أهله المقربين، حتى إنه يمكن الجزم بأنّ التلفزيون صار يلعب دوراً مهماً في تكوين شخصية الطفل منذ نشأته الأولى.

والتلفزيون بما له من إمكانيات الصوت والصورة -خاصة- يؤثر مباشرة على حاستي السمع والبصر عند الطفل. ومعلوم أن ما يتلقاه الإنسان من معارف وعلوم عن طريق السمع والبصر يفوق نسبة 97%. وهذا يعني أنه بالإمكان اعتبار التلفزيون من أهم وسائل المعرفة البديلة عن الكتاب المدرسي، وحتى عن المعلم في بعض الأحيان.

وترى "ليليان لورسا" وهي عالمة نفس في المعهد الوطني الأمريكي، بأننا إذا أردنا أن نفهم طفل اليوم، فعلياً أن نعرف أن الطفل قد أصبح مشاهد تلفزيون قبل أن يكون تلميذاً، في الوقت الذي تتكون فيه شخصية الطفل يصبح مشبعاً بالأشكال التي يراها على الشاشة. وما دام الأمر كذلك، فيجب أن يستغل الاستغلال الصحيح. وتدل بعض الدراسات أنه بإمكان الطفل

اكتساب العديد من المهارات إذا كانت البرامج المقدمة برامج تثقيفية تهئ الطفل للدخول في مراحل أكثر نضجا.⁽⁴⁾

وتعزى أهمية التلفزيون وتأثيره القوي على الطفل إلى مجموع الصور التي يقدمها له والتي تترسخ في ذهنه بكل ما تحمله من دلالات وحركات وألوان وأصوات. وهي صور تختلف عن الصور الموجودة في كتابه المدرسي، فالصور التلفزيونية أكثر حيوية وتجسدا، وأشد جاذبية وتأثيرا لأنها صور غير صامتة هي مقترنة بالصوت ومدعمة باللون ومجسدة بالحركة، وهي تلعب دورا حيويا في تنمية الأداء اللغوي لدى الطفل، وكذا إكسابه بعض المهارات الأخرى بسرعة وفعالية.

فالصورة التلفزيونية إذن، "يمكنها أن تقوم بدور رئيس في توجيه الرسالة التعليمية، وتنظيم الشبكة المعرفية، بحيث يغدو التعليم والتعلم مهارتين فاعلتين ووظيفتين داخل الحقل التربوي، وذلك لأنها تتميز بخصائص تتفرد بها وهي:

- 1- أنها عامل تشويق يثير اهتمام المتعلم.
- 2- تميزها بالدقة والوضوح أكثر من اللفظ.⁽⁵⁾
- 3- اشتغالها على اللون الذي يلعب دورا فعالا في تحديد الدلالة.
- 4- تجسدها بالحركة التي تجعلها صورة حية وأكثر واقعية.

وقد لاحظت الأسر مدى التغير الحاصل لدى أطفالها منذ دخول التلفزيون إلى بيوتهم، ولمس الآباء فعاليته بما يتوفر عليه من إمكانيات سمعية بصرية وهي التي تغذي حاستي السمع والبصر لدى أطفالهم. هاتان الحاستان اللتان تشكلان نافذة صغارهم على العالم الخارجي، وسبيلهم إلى المعرفة القويمة والصحيحة، خاصة بعد ظهور ما يصطلح عليه بالتلفزيون التعليمي بكل ما يحتويه من برامج تعليمية تثقيفية موجهة خصيصا للأطفال على اختلاف أعمارهم، مثل برنامج افتح يا سمسم، مسلسل المناهل، مسلسل الأنسة إعراب..

وغيرها من البرامج والقنوات الناجحة كقناة طيور الجنة، وبراعم، الجزيرة للأطفال و mbc3 وغيرها.

وقد لعبت هذه البرامج دورا فعالا في تحسين الحصيلة اللغوية للطفل، إذ أصبح الطفل وفي سن مبكرة يتلفظ بكلمات علقت بذاكرته نتيجة متابعته الدائمة لتلك البرامج، وهي كلمات لا تُداول عادة في محيطه الأسري. إضافة إلى ذلك، فقد أسهمت الصورة خصبًا في جعله أكثر انتباها وحساسية لما يُقدم له عبر شاشة التلفزيون، فینتبه للصورة ومكوناتها وألوانها والحركات المصاحبة لها والأصوات والموسيقى، وكذا ما يكتب من مفردات وعبارات إلى جانب الصورة أو تحتها.. فما إن يستحضر الصورة المرئية أمامه حتى يستحضر معها الصورة اللغوية المصاحبة لها، وبهذا تتطور ملكة اللغة عنده حتى قبل أن يدخل المدرسة.

وقد أثبتت التجربة أن "من الأساليب الناجحة التي يمكن أن نلجأ إليها عند استخدام التلفزيون في تعليم الطفل القراءة والكتابة، القصص المصورة المزودة بالمفردات أو العبارات الضرورية، ولا يشترط هنا أن نكتب كل أحداث القصة، بل نكتفي، وبحسب الفئة المستهدفة، بكتابة بعض المفردات المفصلية الرئيسة الجديدة، التي نريد أن نثبت صورتها الكتابية في ذهن الطفل مكملين سائر أحداث القصة بالرواية الشفوية".⁽⁶⁾

كما لا يخفى على أحد ما للرسوم المتحركة من أثر بالغ على الطفل وعلى إكسابه العديد من المهارات والقدرات، كالقدرة على التخيل، والتفاعل مع عوالم جديدة عليه، وكذا إثراء معجمه اللغوي خاصة وأن هذه الرسوم المتحركة تقدم له باللغة العربية الفصحى، فيتعلم بذلك الكثير من الكلمات والعبارات الجديدة عليه، ويبدأ بتكرارها كلما تذكر تلك الرسوم المتحركة، أو عندما يحكي لرفاقه ما حدث في كل حلقة.

"إنّ ولوع الأطفال بالصور المتحركة هو تعلم هادف يَرد على شكل قصص أو حكايات على ألسنة الحيوانات ممثلة في صور كرتونية مدروسة بدقة، والمحبذ لديه هي الأفلام التي تكون مشبعة بالحركة أمثال دراغون بول وتقدم بلغة عربية فصيحة، مترجمة، عملت على ترسيخ كثير من الممارسات اللغوية السليمة." (7)

وبما أن التلفزيون لا يقدم للطفل صوراً صامتة بل مدعمة بالصوت والحركة، فقد أسهم أيضاً في تنمية ملكة الاستماع لديه بما يقدمه له من أناشيد وأغان، وهو ما زاد من شدة تعلق الأطفال بهذا الجهاز العجيب. ونجد أن قناة طيور الجنة من أكثر القنوات التي كان لها فضل السبق في التواصل مع الصغار على اختلاف أعمارهم عن طريق الأناشيد مثل يا طيبة التي نالت إعجاب الأطفال، فحفظوها وأصبحوا يرددونها بطلاقة، ومن ثمة، فهم يكتسبون لغة عربية فصيحة وبسيطة تتناسب ومستواهم الفكري. إضافة إلى بعض الأغاني الأخرى الخاصة بالرسوم المتحركة، مثل روبن هود، سنان، سمبا..

وهذا نص لأغنية سمبا:

هل شاهدتم ذئباً في البراري يأكل أخاه؟

هل شاهدتم يوماً كلباً عضّ يدا ترعاه؟

هل شاهدتم فيلاً يكذب، يسرق، يشهد زوراً؟

ينكر حقاً، يفشي سرّاً، يمشي مغروراً بأذاه؟ سمبا..

سمبا قادم، سمبا جاء، سمبا عند التلّ بين قطعان الأطباء

هل شاهدتم..

والملاحظ على نص الأغنية أنه مكتوب بلغة عربية فصيحة وبسيطة يستطيع الطفل حفظها وترديدها. كما أنها لغة تحوي مفردات دالة على بعض الحيوانات التي يراها في الرسوم المتحركة، فيتعرّف عليها، ويدرك أن هذا ذئب، وهذا كلب، وذاك فيل..

والمعلوم أنّ " النغم غريزة في الإنسان بدءاً من طفولته، ولذلك ينبغي استغلال هذه الغريزة النغمية لتنمية اللغة عند الأطفال، حيث يصاغ لهم الشعر الخفيف المحبّب المنعم الذي يسهل حفظه، ومن هنا تنمو القدرة اللغوية لديهم. وتُبنى القيم الأساسية كالحب والوطن والتسامح والصداقة والرأفة بالحيوان والمحافظة على البيئة والنظافة والإيمان، وغير ذلك، حيث يصاغ في أناشيد سهلة أو قصص محبّبة تتردّد على الألسنة وتثبت في العقل، وينشأ الطفل على حب لغته." (8)

فالأغاني والأناشيد بما يصاحبها من صور وحركات وإيماءات بالجسد تسهم في تحسين الأداء اللغوي عند الطفل، فيتعرف على أسماء الحيوانات والأماكن ودلالة الألوان وكذا بعض الأفعال والصفات. كما أنها تُكسبه بعض المهارات الأخرى كالقدرة على المحاكاة والتقليد، والقدرة على النطق السليم والقدرة على الحفظ والتكرار، وتنمي فيه بعض الأخلاقيات كالشجاعة والحب والتسامح والصدق..

وقد لاحظ "المختصون أن توظيف كفاءة الاستماع لدى الطفل في سن الرابعة والخامسة أمام التلفزيون لبرامج الأطفال تكون فعالة وإيجابية بحيث يسعى الطفل إلى تقليد المقولات والأحداث والجمل والكلمات الفصيحة، ومن ثمّ اكتسابه أداء لغوي مع الضبط الإعرابي تقليدا لا فهما ودراية. ورغم ذلك يبقى أنه اكتسب لغة وحاول توظيفها في تعاملاته واتصالاته مع الآخرين وسيواصل وينجح فيها خاصة إذا لقي تجاوبا وتشجيعا ودفعا نحو الممارسة اللغوية وتقوية مهارته وهذا ما نجح فيه الكثير من الأولياء في استثمار هذا الجانب لكسب أي أداء لغوي سواء العربية أو غيرها." (9)

ومما يزيد من فاعلية الصورة التلفزيونية ما يقدمه من إشارات موجهة خصيصا لفئة الأطفال، تلك التي تقدّم لهم منتجات يحبونها كالمشروبات والعصائر، ورقائق البطاطا والساكاكر والشكولاتة والحليب وبعض الألعاب.

فمن جهة هم يتعلقون بتلك المنتوجات ويطلبون من آبائهم شراءها لهم، ومن جهة أخرى يتعلقون بالصورة التي تعرض من خلالها والعبارات والكلمات المصاحبة لها حتى وإن كانت في بعض الأحيان تقدم بلهجة معينة وليس باللغة العربية الفصحى، إلا أن الأطفال يردّدونها ويكتسبون بذلك مهارة لغوية، وتترسّخ في أذهانهم الصورة واللغة المصاحبة لها.

وقد أثبتت الصورة البصرية المتحركة والناطقة مدى جدواها في اكتساب الطفل الكثير من المهارات اللغوية وغير اللغوية، فهي تملك " قدرة في التأثير على عواطفه، وهي أقدر على التعبير من آلاف الكلمات، وتعتبر الصورة الحية من أحسن الوسائل إقناعاً، ونحن نعلم أنّ الرؤية أساس الاقتناع، والرؤية أو البصر أهم وأكثر حواس الإنسان استخداماً في اكتساب المعلومات. ويعتبر التلفزيون من أكثر وسائل الإعلام إيضاحاً وقدرة على التفسير والتوضيح، لما يميّز به من خاصية الجمع بين الصورة المقتربة أو المدعّمة بالصوت في مشاهد واقعية قريبة من مدارك الإنسان.. كما أنّ الألوان تساعد المشاهد - وخاصة الطفل - في استيعاب المعلومات واستيعابها. وبذلك يحيل التلفزيون المعلومات والأفكار المجردة إلى صور حية قابلة للفهم والإدراك، وتعطي الصورة الحية إحساساً بالألفة، وتزيد من المشاركة التي يتيحها التلفزيون لمشاهديه"⁽¹⁰⁾ خاصة إذا كانوا أطفالاً، فتفاعلهم سيكون أكبر وأقوى.

ولهذا كله، فقد أسهمت الصورة التلفزيونية بما تتوفر عليه من إمكانيات الصورة والصوت واللون والحركة في تنمية الأداء اللغوي لدى الطفل، وتحسين لغته العربية، كما أسهمت في تعرفه على بعض المفردات والعبارات الجديدة عليه والتي تتضاف إلى معجمه اللغوي البسيط، كما يعزى لها الفضل في اكتسابه كثيراً من المهارات والقدرات خاصة تلك المتعلقة بتوسيع مجال الخيال عنده، وتعريفه بالعالم الخارجي من خلال تغذية حاستي السمع والبصر لديه.

قائمة المراجع:

- 1- رشيد حليم: دور التلفزيون التعليمي في تمكين الممارسة اللغوية السليمة "برامج التسلية الهادفة عينات"، مجلة مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، ديسمبر 2010.
- 2- سعاد عالمي: مفهوم الصورة عند ريجيس دوبري، إفريقيا الشرق المغرب، 2004.
- 3- شريفة جوادي: أهمية دور الوسيط الإعلامي في أدب الطفل منشورات جامعة التكوين المتواصل، الجزائر، ج 6 .
- 4- شفيقة العلوي: تكنولوجيا الصورة واستخدامها في التعليم، منتدى الهدى للثقافة والإعلام، ص 1 من الموقع: www.image.com.
- 5- صلاح فضل: قراءة الصورة وصور القراءة، دار الشروق، مصر ط1، 1997م.
- 6- صليحة خلوي: برامج الأطفال التلفزيونية المبدجة ودورها في تعليم العربية الفصحى للناشئة- أغاني الرسوم المتحركة نموذجا- ، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، تيزي وزو، ديسمبر 2010.
- 7- عبد اللطيف حني: دور الاستماع في تنمية الأداء اللغوي لدى تلاميذ الأقسام التحضيرية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، ديسمبر 2010.
- 8- محمد معوض: فنون العمل التلفزيوني، دار الفكر العربي القاهرة، (د.ت)
- 9- يحيى عبد الرؤوف عثمان جابر: دور التلفزيون في التربية والتعليم مجلة الإذاعات العربية، تونس، ع 24، 1991.

- (1) رشيد حليم: دور التلفزيون التعليمي في تمكين الممارسة اللغوية السليمة "برامج التسلية الهادفة عينات"، مجلة مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، ديسمبر 2010، ص 517.
- (2) صلاح فضل: قراءة الصورة وصور القراءة، دار الشروق، مصر، ط1، 1997م، ص 7.
- (3) سعاد عالمي: مفهوم الصورة عند ريجيس دوبري، إفريقيا الشرق، المغرب، 2004 ص 77.
- (4) شريفة جوادي: أهمية دور الوسيط الإعلامي في أدب الطفل، منشورات جامعة التكوين المتواصل، الجزائر، ج6، ص 201-202.
- (5) شفيقة العلوي: تكنولوجيا الصورة واستخدامها في التعليم، منتدى الهدى للثقافة والإعلام، ص 1 من الموقع: www.image.com.
- (6) يحيى عبد الرؤوف عثمان جابر: دور التلفزيون في التربية والتعليم، مجلة الإذاعات العربية تونس، ع 24، 1991، ص 3.
- (7) رشيد حليم: دور التلفزيون التعليمي في تمكين الممارسة اللغوية السليمة "برامج التسلية الهادفة عينات"، ص 525.
- (8) صليحة خلوفي: برامج الأطفال التلفزيونية المبلجة ودورها في تعليم العربية الفصحى للناشئة- أغاني الرسوم المتحركة نمودجا-، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر نيزي وزو، ديسمبر 2010، ص 222.
- (9) عبد اللطيف حني: دور الاستماع في تنمية الأداء اللغوي لدى تلاميذ الأقسام التحضيرية منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، ديسمبر 2010، ص 315.
- (10) محمد معوض: فنون العمل التلفزيوني، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت)، ص 9.